البحيرة[1] هي كرومهم وشجرهم من الجوز [363] وغير ذلك، والجوز أكثرها، تحت حماية المدينة كله، ومزارعها وأرضها متسعة في البطاح، والأرض الفساح، وعندما وصل أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين إلى المدينة والقصبة التي ذكرها خرج أهلها الضعفاء الغرباء إليه بجميعهم وعيالاتهم وبنيهم كبارهم وصغارهم إليه، وكان العدو قد حصرهم قبل ذلك بخمسة أشهر إلى أن سمع بحركة العساكر المؤيدة، فقلع عنهم وتركهم كأنهم قد نشروا من كفن وخرجوا من جدث، فسلموا على أمير المؤمنين وسألهم عن حالهم وَدَعا لَهُم ووعدهم بخير، ونظر جميل ونصر كفيل وَمَيْر، وأَمَرَ في الحين للحافظ الناصح الأمين أبي موسى عيسى بن مخلوف الجد[2] ميوي أن يكتب أسماء جميع من فيها من الرجال والنساء والصبيان والأطفال ويحصي عددهم، فأحْصَاهم، وكان عددهم سبعة مائة نسمة بين رجل مقاتل وامرأة وصبي وطفل، فأمر للفارس منهم باثني عشر مثقالاً[3]، وللراجل بثمانية مثاقيل، وللمرأة بأربعة مثاقيل، وللطفل بأربعة مثاقيل، وأعطاهم سبعين بقرة لم يكن عنده في المحلّة سواها، وكثيراً من الرماح والقسي والسهام والترسة والأسلحة وفرض لهم على العساكر مدا[4] غير ربع من زرع قمح أو شعيرٍ صدقة عليهم فبادر النَّاس إلى ذلك. [364] فاجتمع لهم زَرْعٌ وضرع، وكذلك وجوه الموحدين أعزهم الله ووجوه الناس بادروا إلى الصدقة عليهم، فأعطاهم الشيخ المرحوم أبو عبد الله بن الشيخ المرحوم أبي ابراهيم وقر حمل من قمح، وكذلك الحَافظ ابو يعقوب يوسف بن أبي عبد الله بن تيجيت[5]، وأما الوزير ادريس بن أبي اسحاق فاشترى لهم زرْعاً بمائة دينار وكذلك ابنه

(1) كذا ويظهر أن الأصل «توجد» عوض كلمة هي.

(2) لم نقف على اسم هذا الحافظ ضمن لائحة الكدميوين في البيذق وقد يكون من أهل الدار راجع التعليق رقم 3 ص 403.

(3) راجع التعليق رقم 3 ص 393.

(4) راجع التعليق رقم 10 ص 352.

(5) راجع التعليق رقم 3 ص 179.

يحيى اشترى لهم زرعاً بمائة دينار، وتتابعت لهم من أعيان الناس الصدقات والعطيات والهبات وانصرف أمير المؤمنين تلك العشية بعد هذا النظر والعطية وبات الجميع من النّاس في موضع نزولهم. ولما أصبح يوم الأربعاء الثاني من ذي الحجة أمر النـاس بَالخروج لدرس الزرع وسوقه من عمارة النصارى أهلكهم الله فامتثلوا ذلك وخرجوا، فحينٍ وصولهم إلى البُورت[1] القريب من قونكة اجتمعوا بالنصارى في الشعْراء المتّصلة بذلك الموضع، وهم في عدد كبيرٍ ذميم[2] زَعَمَ المخبر عنهم أنه أذفونش الصغير[3] اللعين وقمطهُ نونة[4]، فرجعوا وأخبروا بذلك أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين فرأى من النظر للحرب القلوع بالمحلة من موضعه، ويجوز وداي شُوقر، فركب هو وأخوه في الحين وجاز الوادي المذكور ونزل في الجبل المتصل بمدينة قونكة لحصانته ومنعته، وأمر الناس [365] بالرَّحيل والقلوع، فكانت على العساكر قيامة أخرى مثل قلوعهم من وبذة وأخذ الناس في الانزعاج الى الوادي فلم يجدوا فيه إلا مخاضة[5] واحدة وهو عظيم الانحدار بسيْل وتيار، فكثر صياح الناس من حمله، وعظيم هوله، وهم قد ملئوا عبرَيْه وسلب أكثر ثياب الجائزين ولا أخ يقف على أخيه! ولا أب يصبر على بنيه، ودام هذا الهول في الجواز حتى إلى العصر من اليوم المذكور، واجتمعت العساكر في الموضع التي ذكرتُه، واتصل وصول النصارى حتى نزلوا على مقربة من موضع المحلة أمس هذا اليوم بجبلٍ يعرف بجبل تونبس[6] ملتف بالشعراء والوعورة وتراءت المحلتان للعين

(1) البورت: لا يوجد موضع بهذا الاسم الذي يظن أنه تعريب لكلمة Puerto الاسبانية اللهم إذا كان في مكان يبعد كثيراً عن قونكة، ولهذا يعتقد أنه قد يكون اسماً لموضع مندثر المعالم.

(2) راجع التعليق رقم 4 ص 412.

(3) راجع التعليق رقم 4 ص 412.

(4) يعني القمط نونيو دي لارا: Nunô de lara. راجع التعليق رقم 5 ص 286.
Huici p. 263.

(5) المخاضة من النهر: الموضع الذي يتخضخض ماؤهُ عند العبور عليه أي المكان الذي يمكن العبور منه.

(6) جبل تونبس، ربما كانت هذه الكلمة تحريفاً للكلمة الاسبانية Tumbos أو Tumbas ويعتقد أن =

والوادي[1] بينهما حاجز، وكلا العسكرين عاجز، وبات الناس ليلة الخميس على ما تقدم من الاحتراس والأخذ بالحذر من مكر الوسواس. فلما أصبح الصباح جمع أمير المؤمنين أشياخ الموحدين، وأهل الرأي الناصحين في الدين، على طبقاتهم من كل قبيل، وذاكرهم ما يرون من الرأي، فاجتمع رأي الموحدين أعزهم الله على مقابلة الكفرة غداً يوم الجمعة، وأما العرب فكفوا وجبنوا عن[2] اللقاء! وقالوا: إن حربهم تحتاج إلى انفساح في الأرض حيث يروحون ويتصرفون[3] [366] في الطول والعرض، وظهر الخور عليهم، واستبان الجبن لديهم، وقالوا: إن النصارى قد نزلوا في جبل وعر، ونظروا لأنفسهم في احتصان ومكر! وازدادت نيات الموحدين[4] والأجناد الأندلسيين صفاءً، ووفوا لله تعالى في جهاد الكفرة وفاء، وباتوا على هذه النية، وخلوص الطوية، ولما أصبح يوم الجمعة تأهب الموحدون لما باتوا عليه، ونظروا نظر ما تواعدوا إليه من الاستعداد للجهاد، فنهض منهم جمع مبارك ومن العساكر، وأبو العلا بن عزون بجملته معهم، ووصلوا إلى موضع محلّة النصارى فكانت بينهم وبين المسلمين مدافعات ومحاملات ظهر الإسلام فيها وتبيَّن للكفرة أهلكهم الله ما غالطوا نفوسهم من تلاقيها، ورجع الجمع المبارك عشية النهار سالماً ظاهراً، وبات الناس على أولهم، فلما أصبح يوم السبت الخامس من ذي الحجة أمر أمير المؤمنين بالتأهب للحرب، وأن يكون كل رجل من الموحدين ومع جميع القبائل مع قبيله متأهباً للطعن والضرب، وركب الناس

- الموضع المقصود هو Torcas الذي كان يسمى قديماً Monte de los Palancares Melchor: Page 34. Huici page 263.

(1) عله يعني نهر موسكاس Moscas الذي يتفق في وضعه الجغرافي مع الوصْف المذكور.

(2) راجع التعليق رقم 1 ص 345.

(3) يذكر ابن خلدون: «أن العرب لا يتغلبون إلا على البسائط . . .» عبد العزيز الدوري: ابن خلدون والعرب مجلة الكتاب ص 9 عدد إبريل 1962.

(4) لا يخفي في هذه العبارات من تحامل على عرب أفريقية الذين كانوا فعلاً غير متعودين للحروب في الجبال. راجع التعليق رقم 1 ص 345.

وتدرعوا، واستلأموا الأسلحة وتصففوا للقاء وانتظروا ما يكون من العدو واستمعوا. وقد كان أمير المؤمنين رضي الله عنه وجَّه أبا العلا بن عزون في مقنب من الأجناد عند انصداع الفجر من اليوم المذكور [367] ليتطلع أمر النصارى في موضعهم على عادته، وأقام الناس في مواضعهم على مراتبهم وقبائلهم حتى إلى ضحوة النهار، فرجع أبو العلاء مع مقنبه، وأعلم أن النصارى قد قلعوا من محلتهم منصرفين إلى بلادهم، راحلين بأعدادهم فأخذ أمير المؤمنين في الرحيل وقرع الطبول، وتقدم أهل التقديم، على ما تعود من النظر العميم، فكأن القلوع بين الفريقين كان على ميعاد، مع عداوة بينهما في الدين وبعاد. واتّصل سيْر العساكر المؤيدة على التأهب المذكور والترتيب حتى وصلوا إلى الجبل المعروف بجبل الصومعة[1]، على عشرة أميال من قونكة، ونزلوا فيه على ماء طيب وسرح خصيب، واشتد السعر في هذه الليلة، فبلغ المد المراكشي[2] من الشعير درهمين، وكذلك من القمح، ورطل الدقيق بدرهم[3] واحد، وبات الناس على خير. ثم أقلع يوم الأحد السادس، ومشى

(1) Los Zonas، ويكتفي ويسي بترجمته هكذا (Monte del Alminar).

(2) ينعت ابن صاحب الصلاة هنا المد بالمراكشي، وكذا في صفحات 370 — 367 — 369 ـ وقد حاولنا أن نصل إلى نتيجة في تقويم المد المراكشي وكان في الامكان أن نحصل على «معيار» له لو أن الظروف التي يتحدث عنها المؤلف كانت عادية، ومع هذا فإنني على مثل اليقين من أنه غير المد النبوي الذي يزن 400 غرام إذا كان من الشعير و525 غرام إذا كان من القمح (ليس من المعقول أن يشيد المؤلف بتبرع الخليفة على المحتاجين بمد إلا ربعاً) ـ (ص 363) كما أنه غير المد الكبير المصطلح عليه الآن عندنا في سوق الحبوب والذي يصل تقريباً إلى ثلاثة وثلاثين كيلو. . . ولكنه أي المد المراكشي شيء ثالث فوق المد النبوي بقليل ودون المد الكبير بكثير وجدير بالباحث في هذا الموضوع أن لا يغيب عن ذهنه أن أسعار الأسفار والحروب لا يمكن أن تؤدي إلى حكم قد يتخذ قاعدة كما أشرنا إلى ذلك، وهكذا لا يستغرب أن يكون ثمن 25 رطلاً من الدقيق درهمين، وثمن 25 مداً من الشعير بدرهم فإن من الجائز أن تكون الرغبة تعلقت بالحصول على الدقيق دون الشعير (ص 303) كما لا يستغرب أن يكون مدان ونصف مد من الشعير بدرهم بينما خمسة أمداد من القمح بدرهم (ص 354) لأن الحاجة قد تكون أنذاك دعت للاحتفاظ بالشعير الذي يصلح للدواب أكثر من الاحتفاظ بالقمح الذي تتوفر الخزائن فيه على كمية أكثر. انظر التعليق رقم 10 ص 352.

(3) لدرهم جزء من عشرة تكون الدينار على العهد الموحدي وهو يعادل 60 سنتيماً تقريباً.

نحو ثمانية عشر ميلاً إلى وادي تامطة(1)، ونزل في جبل حصين والناس معه دون حمولات ولا أخبية، لأن الناس ضعفوا عن المشي، وتأخرت الحمولات ومشت على طريق، ومشى الناس على طريق أخرى، فبات أكثر الناس دون علف ولا قوت، وعدم الشعير حتى بيع المد المراكشي بثلاثة دراهم. ولما أصبح يوم الاثنين أمر بالرّحيل بسبب افتراق الناس والحُمُولات. ومشى نحو اثني [368] عشر ميلاً ونزلوا على وداي برج(2) قبلة على طريق مدينة بلنسية، فماتت دواب الناس من التعب والنصب، وجاع الناس وكثر فيهم الموت، واجتمعوا بحمولاتهم في هذا الموضع عشية اليوم ولا قوت يوجد إلا لحم جميل يؤذي، وشحم منه يردي، ولما صلّى الظهر من هذا اليوم أمر بجميع أشياخ الموحدين أعزهم الله وأشياخ القبائل والأجناد من كل صنف، وأمروا عندَ اجتماعهم والالتقاء بهم أن ينظروا في التمييز، وأن يتميَّزوا عشية يوم الثلاثاء الثامن من ذي الحجة. وبات الناس فلما أصبح الله بيوم الأربعاء التاسع من ذي الحجة أمر الناس بالتكبير والرَّحيل بسبب العقبة الكؤود التي في الطريق المعروفة بعقبة الأباليس (3)، فتعجل الناس بسبب الصعود في العقبة المذكورة إلى أن وصلوا إلى القنطرة المعروفة بقنطرة اغربالة(4) على الوادي الجاري تحتها، فنال الناس الضعف والجوع من عدم القوت والعلف، ومات كثير من الخيل والبغال والجمال في العقبة المذكورة ونزل أمير المؤمنين بالناي في القَنْطرة المذكورة. ولما صلى الظهر أخرج البركة لجميع العساكر

Massignon: Le Maroc dans les premiéres années du XVIè siècle

1906 page 102. .292 ص vhphgjygde vel I

(1) لم يكن في المستطاع التحقيق من النهر الذي يقابل هذا الاسم وقد ترجم ويسي اللفظ كما هو:
. Rio — Tamata. P. 263

(2) برج قبلة لعله يعني به المعروف اليوم باسم (Caraballa) واكتفى Huici بالاسم:
(Biry — Qaballa)

(3) عقبة الأباليس (Al — ameda de los Diablos) لعلها القائمة اليوم بين:
. Minglanilla وبين Villagor — del Gabriel

(4) قنطرة أغربالة: (Al Puente de Gabriel) أنظر خريطة Huici ص 226.

على تمييزهم، خمسة مثاقيل للفارس الكامل ولغيره كذلك، ومثقالين للراجل الكامل ولغيره كذلك، وكان الإنعام بهذه [369] البركة على تاريخ شهرين اثنين من أول حركاتهم. ووصل السعر في هذا اليوم ثلاثة دراهم في المد الواحد المراكشي من الشعير، وكذلك من القمح، ورطل الدقيق الواحد بثلاثة درهم(1)، وبات أمير المؤمنين بموضع القنطرة المذكور بسبب العيد.

عيد الأضحى في هذه الغزوة

ولما أصبح يوم الخميس العاشر وهو اليوم العيد أمَرَ أمير المؤمنين بالصلاة في الموضع، فاجتمع الناس، وخطب الخطيب أبو زيد بن عبدون(2) قاضي تلمسان الخطبة المعلومة، وصلّى بالناس ثم دعاه أمير المؤمنين، وسلَّم عليه إخوته وأشياخ الموحدين ووجوه دولته، وقسم عليهم كباشاً عن ضحايا لهم. ولما توسط النهار أقلع الناس، ورحل خمسة عشر ميلاً ونزل بهم في مرج القبداق(3) على مقربة من حصن ركانة(4) من بطن بلنسية للمسلمين. ولما أصبح يوم الجمعة الحادي عشر رحل ونزل بحصن ركانة المذكور والمجاعة عظيمة، والشدة من عدم القوت عميمة، وأخطأ الأدلاء الطريق، فافْترقتْ العساكر في الجبال والمضايق، والأوعار والشواهق، وبات أمير المؤمنين في موضع، وبات أخوه السيد الأعلى أبو حفص في موضع [370] دون حمولة، وزاد بالناس الجوع والعدم، والضعف والألم، ثم رحل ونزل بموضع يعرف بمجمع الأودية(5)، واجتمع الناس بهذا الموضع وقد وصل الدقيق أربعة

---

(1) كذا كتب عوض دراهم. وقد علمت أن السعر في وقت الرخاء كان درهماً واحداً.

(2) لم نقف على ترجمة لابن عبدون هذا، ويظهر أنه من أسرة أندلسية، وأنه من الأندلس عين قاضياً على تلمسان.

(3) القبداق: هو المرج الذي يسمى الآن Caudete في مقاطعة بلنسية جنوب قونكة. أنظر Huici ص 256.

(4) اكتفى بأن دعاه: Requena.

(5) مجمع الأودية أو ملتقى نهر (el Gabriel) ونهر (Jucar). وليس هو الموضع المعروف (بالمياه السبعة) كما يقول ميلشور. أنظر Huici ص 264 التعليق رقم 2.

درهم[1] الرطل الواحد منه، ومد الشعير المراكشي أربعة درهم، وكذلك القمح غير موجود. ثم رحل يوم الأحد الثالث عشر من ذي الحجة على طريق صعبة المسالك، ومَشَى سبعة أميال ونزل قريباً من حصن بنيول[2] من نظر بلنسية. وفي هذا اليوم سرح الحشود من أهل الشرف وجميع بلاد الأندلس إلى أوطانهم وافترق أكثر الناس إلى بلنسية وغيرها من الناس المجاهدين. وفي هذا اليوم وصلت رفقةً كبيرة من بلنسية بالدقيق والشعير والفواكه هدية من قبل أبي الحجاج يوسف بن مردنيش إلى أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين، فاختصت بالخاصة منه والعامة، وعندما وصل الناس حصن بنيول المذكور تقدَّم مَن لم يكن له اسم في زمام ولا رَسْمٌ إلى مدينة بلنسية لطلب القوت والحياة بعد هذه الشدة، وكنت[3] فيمن تقدم إلى حصن بنيول فما وجد أحدٌ فيه شيئاً من قوت، إلا بعض حبات من تين أخضر في أول زمانه: الحبة الواحدة من ذلك بدرهم[4]! فاشتراها من اضطر إليها، وكنت واحداً من ممن اشتراها تقوَّت بها ثم وجدتُ فقدها إلى أن وصلتُ مدينةَ [371] بلنسية ودخلتها، فرأيتها فوق وصفها مطيب بساتين وروضة، مياهها جارية مطردة، ورياضها زاهية في الحسن منفردة، ووافيتُها والصبح قد ألبسها قميصه، والحسن قد نشر فيها وبيضه، لكن الضعف عليها باد، والخوف بالفتن متماد! وتزودتُ منها ثم تلاحقت بعد ثلاثة أيام بالمحلة المؤيدة. وأقلع أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين من منزله بقرب حصن بنيول المذكور مرحلةً بعد مرحلة على ترتيب حركته، فوصل مدينة شاطبة[5] يوم الخميس السابع عشر

(1) كذا في الأصل عوض دراهم.
(2) حصن بنيول: (Bunol).
(3) نستفيد من النص أن ابن صاحب الصلاة كان له اسم ورسم في الزمام.
(4) لم يفلت ابن صاحب الصلاة دائماً تسجيل هذه الانطباعات، وقد تحدث إلينا في غزوة شنترين من بعد أنه اشترى بقرة سمينة بثلاثة دراهم!
ابن عذاري (مخطوط) ص 128.
(5) شاطبة (Jativa). وتقع في الجنوب الغربي لبلنسية قريبة من الشاطيء وكانت تسمى عند الرومان Setabis ينتسب إليها علماء وأدباء مشهورون وكان يصنع بها أجود الورق. الفاسي: الاعلام الجغرافية الأندلسية مجلة «البينة» عدد يوليه 1962 ص 34.

من ذي الحجة ودخلها: قصابها الشاهقة المانعة، وأبراجها الشاسعة، وأقام فيها يوم الخميس ويوم الجمعة، ولما كان بعد الصلاة من يوم الجمعة حضر أشياخ الموحدين أعزهم الله في الجامع ومعهم أبو محمد المالقي والقاضي أبو موسى، وجمعوا الناس من أهل شاطبة ووعظوهم وأنَّسوهم وبشروهم بالخير المتَّصل من هذا الأمر العزيز، ثم بعد ذلك ضربت الطبول في القصاب[1] المذكورة ورفعت في أعلاها الرايات المنصورة، فلما كان بعد الصلاة من يوم الجمعة حضر أشياخ الموحدين أعزهم الله في الجامع، فلما كان صبيحة يوم السبت التاسع عشر من ذي الحجة رحل عنها ونزل على مقربة منها رفقاً بالعساكر ثم أقلع [372] يوم الأحد الموفي عشرين ونزل بحصن بُلْيَانة[2]. ثم رحل يوم الأثنين ونزل بحصن عَصْف[3]. ثم رحل يوم الثلاثاء ونزل بحصن إلج[4]، ثم رحل يوم الأربعاء ونزل بحصن[5] أوريولة.

دخول أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين لمرسية

ولما كان يوم الخميس الرابع والعشرين من ذي الحجة المؤرخة رحل من أوريولة ونزل ضحوة النهار بحصن منت[6] أقوط على مقربة منها. ولما صلى الظهر تحرك في عسكره الهام وكتيبته التي حارت فيها من الضخامة خواطر الأوهام، وخرج إليه أهل مرسية بالتبرك به والابتسام، ودخل قصرها بنصر دائم وتحية وسلام، والطبول تضرب، والرايات بالسعود تخفق وتطرب، بأحسن الطلاقة والابتسام، وجميع أهل مرسية من خاصتهم وعامتهم وكبيرهم

(1) جمع قصبة... الحصن والبرج.
(2) يسمى اليوم هذا المكان: (Villena) ويقع شمال الش.
(3) حصن عصف يسمى اليوم Aspe في مقاطعة ألقنت 1licante pk,f fgdhkn'
(4) ألج (Alche) وهي قريبة من مدينة القنت، وكانت أيام العرب تعتبر من أقليم تدمير الفاسي: المصدر السابق ص 20.
(5) حصن أوريولة (Orihiela) بينه وبين الش 28 ميلاً، وهي مدينة أزلية قديمة معناها باللاتيني «الذهبية». الروض المعطار ص 34. الفاسي؛ المصدر السابق ص 21.
(6) حصن منت أقوط هي المسماة اليوم Monteagudo وهي تقع بقرب حدود فحص مرسية.

وصغيرهم يتكلمون لأنفسهم بالتيسير والتبشير، ويقولون بأعلى أصواتهم: (الحمد لله الذي جمع بيننا وبينكم على أحسن حال وأنعم حال، ورفع عنا الظلم والكفر). ونساؤهم يبدين أصواتهن بالفرح[1] وينطقن بألسنتهن بكل لفظ منشرح. ودخل أمير المؤمنين بن أمير [373] المؤمنين بقصر مرسية، وقد كان الأمر العزيز نفذ لهلال بن محمد[2] أن ينظر في إنزال الموحدين في الديار، والاشتغال ببرهم على أكمل الأوطار، فوجدوها معدة، مملوءة كسى وأرزاقاً عدة، وأهدى من الجواري الكعاب، والسراري ذوات الحسن والشباب، ما كان عند أبيه معدة لهذا الباب، وأضاف بأكمل التضييف، وعكف على الجود بما قدر عليه أحسن العكوف، وانجز ما وعد به دون مطل ولا تسويف، وقبل الخليفة رضي الله عنه هداياه، وحباه بالعطايا الجزيلة أكثر من عطاياه، وفي خلال هذه الأيام أهل هلال المحرم من سنة ثمان وستين وخمس مائة.

سنة ثمان وستين وخمس مائة

في أول يوم من شهر المحرم منها رغب أكثر الموحدين والعساكر من المرتزقين في السراح إلى بلادهم وأوطانهم عند ضيقة مرسية بهم، وغلاء السعر فيها بسببهم، فأذن لهم في ذلك، وارتحل أكثرهم، وأقام أشياخهم وكبراؤهم ومزاورهم، ودامت الإقامة حتى أهلّ بشهر صفر، فخرجت البركة لجميع الموحدين والعساكر المرتزقين على عدد خروجها في الغزوة المذكورة للفارس الكامل خمسة [374] مثاقيل[3]، ولغيره أربعة مثاقيل وللراجل الكامل مثقالان ولغيره مثقال ونصف، وقبض كل شيخ قبيلة وافترق الناس طلباً للرفق والرزق وفي هذا الشهر عند استقرار أمير المؤمنين بمرسية من غزوته واستيلائه

(1) لا ننسى أن نلاحظ أن تعاليم المهدي مؤسس الدولة كانت لا ترتاح لظهور النساء ولا لسماع أصواتهن.

(2) هلال بن محمد يعني بن سعد بن مردنيش.

(3) يزن المثقال الموحدي أربعة كرامات و729 من الذهب.

راجع التعليق رقم 5 ص 215.

عليها في سفرته، نظر في تثقيف معاقلها، وتوجيه الولاة إلى منازلها وحصونها، والعكوف لكتب نايلها، وفيه أحضر هلال بن مردنيش واخوته وعمهم أبا الحجاج يَوسف في مجلسه الكريم وأنسهم، وبسط لهم وجهه وعدله وفضله، وأولاهم من ذلك كل مستحسن سهل، ووعدهم من بشره وسره ما لم يبلغه مع المأمون الحسن بن سهل[1]! وأشار إليهم أنهم سيكونون من جملة الموحدين مع أهل الحظوة والأهل وأمرهم بالنظر في الارتحال معه وأن يسيروا بجميعهم إلى حضرته: مقره ومجتمعه، فأخذوا في النظر لذلك. والعزم إلى هنالك، وأقر العم أبا الحجاج يوسف بن مردنيش ببلنسية وأنظارها، وكتب له بالأمر على أقطارها، لما علم من صفاء طاعته وخلوصه، وولائه وخصوصه. وكذلك أبقى أبا عثمان بن[2] عيسى القائد على ما كان بيديه من حصن جنجالة وما إليه من الثغر وأبقى من رآه من القواد بالثغور وعمهم [375] بالخير والفضل منه حتى أنساهم ما تقدم لهم مع أميرهم، وعند ذلك أخذ في الانصراف.

ذكر انصرافه من مرسية الى اشبيلية بعد كمال بغيته، في غزوته

وفي أول شهر ربيع الأول من هذه السنة تحرك منها على ما ذكرته واجتاز في طريقه على مدينة اغرناطة، وترك فيها والياً أخاه السيد الأسنى أبا سعيد ووصل إلى اشبيلية يوم الخميس الثامن من ربيع الأول المذكور سنة ثمان وستين المؤرخة، ووصل معه أخوه السيد الأعلى أبو حفص، وجملة أشياخ الموحدين المتقدمين في هذا الأمر، ووجوه دولته وساير اخوته، فخرج

(1) ولاه المأمون عندما بويع ديوان الخراج، ثم بعثه إلى العراق وولاه على ما كان افتتحه طاهر بن الحسين بن مصعب ونال حظوة كبرى لدى المأمون.

ابن خلدون ـ العبر، الثالث طبعة دار الكتاب اللبناني ص 499 والتي تليها.

(2) هو القائد أبو عثمان سعيد بن عيسى الذي كان في أبرز قواد محمد بن سعد بن مردنيش، وكان ممن قدم الطاعة بعد انقراض ابن مردنيش وهو الآن يكافأ من قبل الخليفة.

راجع التعليق رقم 1 ص 317.

أهل اشبيلية إلى لقائه، والتبرك بدعائه، ومعهم الفقيه الحافظ أبو[1] بكر بن الجد فلقيهم مبتسماً ودعا لهم على عادته، وسأل الفقيه ابن الجد قبله من جميع صنفه، ودخل إشبيلية أوْقَر دُخُول، على أتم سلامة ومأمول، ووصل معه في هذا اليوم جميع أولاد محمد بن مردنيش بعيالاتهم، وعيال أبيهم واخوتهم، على ما أمر به أحفل وصول، فأنزلهم في قصر ابن عباد وفي الدور المتصلة به [376] واشترى لهم دوراً باشبيلية من أربابها لسكناهم، وبسطها لهم وملأها أرزاقاً وأرفاقاً. وخص منهم غانم[2] بن محمد بجمع جماعة من الجند الأندلسيين ومن أصحاب أبيه ومن أهل الثغور والأجناد بإشبيلية وأنظارها يكونون تحت تمييزه وتجويزه للغزو بهم وحماية الأنظار من العدو، في الحضر والبدو، والحق هلال أخا غانم والكبار من اخوته في جملة أشياخ الموحدين وأبناء الجماعة لحضور مجلسه العالي ومباشرة الأمر وما يدور من الآراء، تشريفاً لهم وتقريباً، وتأنيساً وتأديباً، فكان غانم يخرج بجمعه الذي جمع، واختاره من الأجناد يغزو مع الموحدين أعزهم الله جهات طليطلة وطلبيرة[3] وأنظارها، فظهرت منه في ذلك كفاية، وعلى العدّ ونكاية، يخرج بعدده غازياً ويرجع غانماً، وقد جعل على عسكره في مسلاخ أمير يميز ويصدق، ويستام[4] اليه ويوثق، والأموال تدفع إليه وإلى إخوته فيقسمونها على أتباعهم وفرسانهم، فظهرت عليهم النعمة والتقريب بأكمل الحرمة، ونال الأجناد معهم بركة عمَّتهم وخصتهم، وترتب غانم بهذا الترتيب على غزو بلاد النصارى مجتهداً، ناصحاً للأمر متجرداً وسلك مسلكه غزاة من الأجناد العرب حتى أقلق ذلك

(1) كان الحافظ ابن الجد ممن أسهم في حملة وبذة لكنه سبق الموكب الخليفي إلى أشبيلية عندما تقرر الاقلاع عن محاصرة وبذة، ولذلك نراه يخرج في أشبيلية لاستقبال الخليفة.

(2) غانم بن مردنيش هذا هو الذي أسندت إليه بعد هذا قيادة الأسطول المرابط في سبته على ما يذكره ابن عذاري في البيان المغرب ص 105.

(3) طلبيرة (Talavera) تقع في الشمال الغربي لطيلطلة على نهر تاجة تشتهر بزليجها الأزرق والأصفر وهي طبيرة. والعجب أن الحميري يتردد في الفرق بينهما. الروض المعطار ص 127 ـ 128. الفاسي الاعلام الجغرافية الأندلسية ص 28.

(4) كذا في الأصل والصواب (يستنام).

النصارى بآبلة[1] خربها الله، فاجتمع فيها جمع ذميم خرجوا مع زعيمهم [377] الضال المبين شان منوس[2] الذليل لعنه الله إلى جهة اشبيلية وقرطبة حسب ما أذكره بعد هذا. وعند وصوله إلى إشبيلية تأكد أمره العالي في بناء الجامع المذكور وكذلك في ابتناء البحيرة خارج باب جهو والقصور.

(وفد القيروان وتونس باشبيلية للتهنئة)

وفي هذه السنة المؤرخة وصل وفد أهل القيروان وفقهاء مدينة تونس وإفريقية إلى أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين بإشبيلية مهنئين على غزوته المذكورة وفيهم الفقيه عمر بن عبد السيد[3] من أهل تونس، فرحب بهم وأنزلهم وأكرمهم حتى انصرفوا إلى مواضعهم مسرورين، وكان الفقيه أبو بكر بن الجد، يثني على عمر بن السيد المذكور ويقول عنه: إنه فقيه القيروان!

(1) راجع التعليق رقم 2 ص 295.

(2) راجع التعليق رقم 2 ص 221 حول شان منوس وانظر ميلشور ص 54 — 55 — 56 — 57.

(3) يعتبر بيت بني عبد السيد من أعرق الأسرات بتونس في القرنين الخامس والسادس الهجري، وقد ورد في المصادر التاريخية التونسية أن الخليفة لما نازل مدينة تونس في وجهته لافتكاك افريقية من النورمانديين المحتلين لسواحلها يوم السبت العاشر من جمادي الأول من سنة 554 (ماية 1159)، وعاين التونسيون ما عاينوا نزل منهم إلى عبد المؤمن أثني عشر شيخاً لطلب السلم منهم بنو عبد السيد، وفي صدر هؤلاء عمر الذي نعته ابن الجد هنا بفقيه القيروان. . . وقد أسعفهم عبد المؤمن بعد مكايدة شديدة. . .

التيجاني عبد الله: الرحلة تقديم حسن حسني عبد الوهاب طبعة تونس 1959.

الزركشي التونسي: تاريخ الدولتين تونس 1289هـ حسن حسني عبد الوهاب: كتاب العمر الرابع (مخطوط). التازي. تاريخ المغرب الديبلوماسي: قسم الموحدين.

(تحرش صاحب آبلة للموحدين ومصيره)

وفي شهر شعبان المبارك من هذه السنة[1] خرج من مدينة آبلة خربها الله القومس المسن الضال شان منوس المذكور المعروف عند أهل الثغور والمسلمين بالأحدب عظيم النصارى بآبلة، ومدير الحرب في الفتنة على المسلمين بالأندلس، فكم من فتكةٍ له في أيام السيرات مع الحشم وبعدها، في أيام فتوته وكهولته وشيوخته لعنه الله في شنّ غارات على المسلمين غرباً وشرقاً وقبلة [378] وجوفاً بجموع من الكفرة إخوته أهلكهم الله، يصل بهم إلى جزيرة طريف والجزيرة الخضراء[2]، ويسقي المسلمين من إذايته كأساً مراً، ولم يمنعه قطُّ نزول مطر، ولا اتصال قر ولا حر، يناله من ذلك بعض ضرر، فكان يهزم عساكر من تقدم من المسلمين، ويقفز بغاراته عمارة المؤمنين، إلى أن أذن الله تعالى بهلاكه وفناء شرذمته أهل آبلة في هذا التاريخ بسعد سيدنا ومولانا أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين، فخرج من آبلة يريد نظر إشبيلية على ما عهد في زمانه وحالة طغيانه في الشهر المؤرخ ووصل بجمعه الذميم إلى الوادي الكبير، وأجازه مع كفرته وشرذمته في المخاضة التي بين حصن بلمة[3] وحصن الجرف[4] فوق القبر المعروف بقبر الشهيد الغريب[5]،

(1) ترى أن خروج شان منوس زعيم أبلة كان سنة 568، وقد سجل بروفنصال رسالة موحدية حول موضوع هذه الحملة ضد شان منوس غير أنها مجهولة التاريخ الأمر الذي أوقع الاستاذ المذكور في الغلط فساقها ضمن الرسائل الموحدية فيما بين تاريخ 555 و 556 فليصحح الخطأ رسائل موحدية 121 ـ 122 ـ 123 ـ 124 ـ 125.

Huici, Historia: page 269 — 270.

(2) Huici, T. I. page 269 — 270.

(3) هي المعروفة اليوم باسم Palma del Rio وتقع في شمال استجة على الوادي الكبير. . .

(4) الجرف (Al — Jarf) هو الذي يشير إليه الإدريسي في نزهة المشتاق ص 208 في الطريق بين أشبيلية وقرطبة.

(5) لا يعرف موقع هذا القبر.

وشن غاراته على جهات استجة[1] ماراً بها إلى قبلة قرطبة إلى القتبانية[2] فغنم في تلك الجهة من سايمة الغنم نحو خمسين ألف راس، ومن البقر نحو مائتي رأس، وأسر من المسلمين فوق مائة وخمسين رجلاً، وقصد في طريقه بعجبه إلى المخاضة التي فوق قرطبة المعروفة ببليارش[3] عند القصير[4] وأجاز غنائمه فيها، والأسرى من المسلمين في ثقافه مكتوفين مستغيثين إلى الله تعالى في نواحيها، وكان أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين [379] قد تقدم عنده خبر هذا الطاغية وخروجه واستعداده، وأمر عساكره المنصورة بالتأهب إليه وانتظاره بما يكون لديه، فلما كان ما ذكرته خرج إليه العسكر المنصور من إشبيلية يوم الخميس الثالث عشر من شعبان المبارك المؤرخ، وقدّم عليهم أمير المؤمنين أخاه السيد الأسنى أبا زكريا يحيى بن الخليفة رضي الله عنهم، ومعه أخوه أبو إبراهيم إسماعيل، وبنو الجماعة كالحافظ المرحوم أبي عبد الله بن الشيخ المرحوم أبي ابراهيم، وأبي يعقوب يوسف بن أبي عبد الله بن الشيخ المرحوم أبي إبراهيم، وأبي يعقوب يوسف بن أبي عبد الله بن تيجيت وأشياخ الموحدين أعزهم الله، وأشياخ العرب بنخبة قبائلهم، وأنجاد فرسانهم ورجالهم، فجدّوا بالإسراع إلى الجهاد، والاتباع لأعداء الله الكفار على وعد من الله ومرصاد. وجازوا الوادي الكبير في مخاضة حصن قطنيانة[5]، وأخذوا في طريقهم عدوة الوادي إلى قرطبة، فوصلوها ضحوة يوم الأحد السادس عشر من الشهر المذكور، والنّصارى أهلكهم الله قد جازوا أمس وصول الموحدين أعزهم الله في مخاضة القُصَير على ما ذكرته، فاجتمع الموحدون بالشيخ

(1) استجة (Ecija) مدينة قديمة وتقع جنوب شرقي أشبيلية قريبة منها. الروض المعطار ص 14 ـ 15. الفاسي: المصدر السابق.

(2) هي المكان المعروف باسم (La campina) وتسليمه رسائل موحدية: الكتبانية. الإدريسي: النزهة ص 173. بروفنصال: رسائل موحدية ص 113.

(3) اكتفى ويسي بنقلها هكذا Bulyaris ولكن من غير أن يحدد موقعها، وقد ورد ذكرها في كتاب «أخبار مجموعة» أقدم كتاب في تاريخ الأندلس. الحلل السندسية (ثان) ص 132.

(4) راجع التعليق رقم 1 ص 400.

(5) لم يهتد ميلشور إلى تحديد الموضع، أما ويسي فقد لفظه هكذا Cantinana.

المرحوم أبي حفص عمر بن يحيى، وتذاكروا معه في الرأي، فاتفق رأي الجميع على إتباع النصارى حيث انتهوا ولما وصلوا مدينة [380] آبلة في ذلك، وصفت نفوس الناس للغزو وخلُصت لله نياتهم، وطابت في طاعة الله مغيباتهم، وعزموا عزمة جِد وجَد وتحرك معهم في أولهم الشيخ المرحوم أبي حفص بجميع مَن كان معه من الموحدين بقرطبة، ونهدوا إلى أعداء الله عشية يوم الأحد المذكور، بعد أن استعدوا من الزاد لعلوفتهم وأكلهم ما يكفيهم في سفرتهم المنصورة، فمشوا على استعدادهم حتى وصلوا حصن بطروج[1] وهو قَفْرٌ لا أنيس فيه، ولحق بعض الناس الضعف من الإسراع في الاتباع، فاتفق الرأي على أن يقيم كل من ناله ضعف بالحصن المذكور. ويتجرد لهذا الاتباع أهل القوة والنجدة من الموحدين أعزهم الله ومن الأجناد والعرب فكان ذلك وتقدَّموا، وقدموا أمامهم طليعة في جملة من الأدلاء الحافظ أبا عمران موسى بن حمو الصنهاجي[2] صاحب يابرة قبل هذا، لشهامته بأخبار الثغور، لتُعْلِم كل ساعة برحيل النصارى ونزولهم ومبيتهم وترتيب مشيهم، ويتطلع على أسرارهم، فكل ما مشوا مرحلة تطلع عليهم، وأعلم الشيخ المرحوم والموحدين بما لَدَيْهم.

فلما كان صبيحة يوم الأربعاء التاسع عشر من شعبان المؤرخ تأخر النصارى وشيخهم الضال الطاغية عن الرحيل [381] من موضع مبيتهم، وذلك بموضع يعرف بفحص كركوى[3] على مقربة من قلعة رباح[4]، فاعلم

(1) حصن بطروج: (Pedroche) ويسميه الحميري بطروش ويقع شمال قرطبة.
الروض المعطار ص 45.
(2) كان هذا الحافظ في جملة الجند الذي أنجد به أمير المؤمنين فرنانده الببوج لما حالف الموحدين ضد ابن أخيه أذفونش الصغير. . . راجع ص 231 من المتن.
(3) فحص كركوى هو الذي يسمى الآن بـ: (Caracuel) ويقع جنوب السبطا (ريال) Cuidad Réal جنوب طليطلة.
(4) قلعة رباح (Calatrava la vieja) وتقع جنوبي طليطلة على وادي آنة، وقد ملكها «النصارى» بعد أن كانت بيد المسلمين إلى أن كانت وقعة الأرك فتملكها يعقوب.
الروض المعطار ص 163. بروفنصال ص ٦٩١.

الحافظ أبو عمران بن حَمُّو بما عاين من تأخرهم عن الرحيل في هذا اليوم فاعتقد الموحدون أيدهم الله أن تأخرهم لأنهم قد علموا باتباع الموحدين، وأنهم يريدون اللقاء في هذا الموضع المتسع، فتأهب الناس بأجمعهم ولبسوا غلايل الدروع، والبيض في رؤوسهم كالشمس في الشروق واللموع وأخذوا أسلحتهم في أيديهم، وإذا بالعدو الكافر في بلهينة[1] من اعتزازه، وعجب منه بكفاره، يظن أن لا مقارع له ولا من يقف قبله على ما تعود قديماً، ولم يعتقد أن الله تعالى قد أحاط به وهشمه هشيماً. وأعلم الحافظ أبو عمران بن حمو جميع العساكر بحاله، فعزموا في الحين على مقارعته، والبروز إليه في منازعته، فاستعجل الكافر حين ذلك بالرحيل، وقد تراءى الجمعان بكل فج ومسيل، فسلَّ الله عليهم سيفه، وحل بهم قلوبهم روعه وخوفه، وأحانهم في الحين حتفه، وانجازوا إلى جبل شاهق لا يصعد إليه إلا من طريق واحدة، في شعراء ملتفة غدقة اعتقدوا أنها منجاتهم، ولم يعلموا أن بها مضاجعهم ومصارعهم ومماتهم، تتخذ الولائم من لحومهم السباع، والطيور الجياع، فطلعوا[2] في ذلك الأسر والغنائم، والموحدون أيدهم الله قد رتبوا [382] عساكرهم، وتقدموا أمام راياتهم، فانضموا إليهم، وصعدوا في الجبل غلبة عليهم، والعدو الأحدب أبو برذع لعنه الله قد ضم شرذمته حوله، يحرضهم على القتال وقال لهم: «أنا قاعد في خبائي في رأس هذا الجبل بحيث أراكم وأنظر فعلكم» فتدافع الموحدون أيدهم الله مع النصارى المذكورين في ذلك الجبل الوعر الملتف بالشعراء والحجارة، في حيث لا ينفذ لفارس جري ولا مشي، فبعد نصف النهار في طعن وضرب، ومقارعة وحرب، هزم الله المشركين، وقطع دابر الكافرين، والحمد لله رب العالمين. ووصل الموحدون الى اللعين الأحدب الكافر وهو على سريره في خبائه، وقتل عليه، واحتز رأسه[3] من جسده لديه، وقتل جميع من كان معه. واتصلت الهزيمة على

(1) بلهينة العيش: رخاءه.
(2) كذا ولعل الأصل: فطلبوا.
(3) هكذا يعبّر ويسي بالاسباني) La cabeza del Giloso fué lle - vada.

النصارى في ذلك الجبل وفي الفحص المتصل به حتى حال الليل بين الموحدين وبينهم، ولم ينج من النصارى إلا قليل قدروا بنحو مائتي فارس. اختفوا في الشعارى[1] بالليل رجاله، دون فرس ولا درع ولا ترس، وفني في هذه الهزيمة ادلاء النصارى وشرارهم من أهل آبلة دمرها الله، ولم يكن لهم بعد هذه الهزيمة رأس يخُرجون معه ولا قام لهم علام أبداً إلى هذا التاريخ[2]، ونفل الله تعالى المسلمين أثقالهم وازوادهم التي كانوا استعدوا بها [383] لطول ترددادهم على أرض المسلمين بزعيمهم ما أعجلوا[3] عنها. وصار ذلك في أيدي المسلمين، وولى أعداء الله أدبارهم، وقد أنزل الله تعالى بهم النقمة، وأحل بهم الدبرة، ووكل بهم حسرة الخيبة، لا يلوي الأخ على أخيه، ولا الابن على أبيه، والحمد لله رب العالمين، وانتقد الأسرى من المسلمين بأجمعهم، والغنائم كلها من البقر والغنم، وانصرفت بالأمر الكريم إلى أصحابها وأربابها، وامتلأت أيدي الموحدين من الدروع والبيض والخيل والبغال والحمر، ونالوا في ذلك الجهاد المبرور، والغنيمة والأجور، وجمعت رؤوس النصارى وسيقت إلى الشيخ المرحوم أبي حفص والسيدين الأجلين أبي زكريا، وأبي ابراهيم، وأحضر من أسرى النصارى من يميز الرؤوس المذكورة، فعين رأس اللعين الطاغية «الأحْدب» فيهم، فأمروا بحمله في الحين إلى حضرة سيدنا أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين بإشبيلية. . وخص بحمله إلى الحضرة المذكورة يحيى بن الشيخ الوزير أبي العلى بن أبي اسحاق بن جامع، فخرج من المحلة المؤيدة من ساعته في اليوم المذكور، وأسرى بقية يومه وليلته وأصبح في قرطبة، وألفى فيها السيد الأسنى أبا سعيد عثمان بن الخليفة قد وصل من اغرناطة بعسكره، تابعاً في هذه الغزوة

(1) جمع شعراء: الأرض الكثيرة الشجر.
(2) تسمى هذه الموقعة في بعض المصادر العربية بغزوة السبطاط لكنها أي هذه المصادر تخطىء إذ تذكر أنها كانت في سنة 569 وأنت ترى أنها كانت في شعبان 568.
التكملة (كوديرا)، الترجمة رقم 66.
(3) كذا في النص وفيه ركاكة.

السعيدة، فاجتمع به ولم يعلمه بشيء [384] وخرج من قرطبة من فوره، وأسرى يومه كله، ووصل إشبيلية عشية يومه، وهذا غريب في السير[1]. ولقد رأيته[2] حين وصوله وهو من التعب حيران، يتمايل من عدم النوم كالنشوان، هو وأصحابه الواصلوَن معه. ودخلوا في الحين على أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين، وانفرد يحيى بن أبي العلى بوصف الفتح على حاله، وشرح نصر الله على أوفى كماله. فكان في وصف هذه الوقيعة أفصح من عرار[3] حين بعثه الحجاج إلى عبد الملك بن مروان برأس عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، وضربت الطبول واجتمع الناس للتهنئة إلى الخليفة رضي الله عنه ومبايعته وتقبيل يده المباركة على ذلك، وكان يوماً سعيداً مباركاً، وقام فيه الفقيه الحافظ أبو بكر بن الجد خطيباً فأجاد، وتكلم القاضي أبو موسى بن عمران تابعاً له أو كاد. وانتسب هذا الفتح العظيم، والبشر العميم، إلى الشيخ المرحوم أبي حفص فبحضوره كان هذا الفتح في الكفار، وبرأيه أعلى الله دينه

(1) ست وثلاثون ساعة من كركوى جنوب طليطلة إلى مدينة أشبيلية.
(2) مرة أخرى نجد ابن صاحب الصلاة في البلاط الموحدي بل إنه يصف هذه المرة المقابلة التي تمت بين أمير المؤمنين وبين يحيى بن أبي جامع.
(3) عرار هذا هو ابن أبي عمرو بن شأس عبيد بن ثعلبة ابن ذؤيبة بن مالك بن الحرث بن سعد بن ثعلب ابن داوود بن أسد بن خزيمة، وقد روت الرواة أن الحجاج لما أخذ برأس بن الأشعث وجه به إلى عبد الملك بن مروان مع عرار الأسدي وكان أسود ذميماً، فلما ورد عليه جعل عبد الملك لا يسأل عن شيء من أمر الوقعة إلا أنبأه به عرار في أصح لفظ واشبع قول واجزل اختصار فشفاه من الخبر وملاء أذنه صواباً وعبد الملك لا يعرفه وقد احتقرته عينه حين رآه فقال عبد الملك متمثلاً:

أرادتْ عراراً بالهونِ ومن يُرِدْ لعَمْري عراراً بالهوان فقد ظِلَم
وان عراراً أن يكُن غَيْر واضِحٍ فأني أحب الجوب ذا المنكب العَمَم

فقال له عراراً: أتعرفني يا أمير المؤمنين؟ فقال: لا، قال: فأنا والله عرار! فزاد سروره وأضعف له الجائزة.
والبيتان من قصيدة لوالد عمرو بن شأس من كلمة يعاتب بها زوجه أم حسان وكانت تؤذي ابنه عرار وتعيّره بالسواد يقول في مطلعها:

ديار ابنةِ السَّعدى هيه تكلمَّي بدافقة الحومان فالسفح من رمَم

الكامل للمبرد. سيد بن علي المرصفي - جزء ثالث طبعة القاهرة 1928 ص 126.

بهذا القرار، بالسمر الطوال والسيوف الماضية الأشفار، فكم من دعي سفك دمه! وكم من شقي أباح حماه وأعدمه! وهو الذي نصح الأمر قديماً، وأقام أمره قويماً. وكان وصول هذه المسرة العظمى [385] يوم الجمعة الحادي والعشرين من شعبان المبارك، على ثلاثة أيام من تاريخ الوقيعة المذكورة، وجلس أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين وأخوه السيد الأعلى أبو حفص معه يوم السبت الثاني والعشرين من شعبان المؤرخ عند السيد الأعلى أبو حفص معه يوم السبت الثاني والعشرين من شعبان المؤرخ عند شروق الشمس بمجلس اليمن من قصره بداخل قصبة إشبيلية مجلس التهنئة، وقد ترتب الموحدون أعزهم الله والأشياخ من طلبة الحضر والفقهاء والكتاب والخطباء فحضروا، وأذن لمن حضر بالباب من المهنئين بالدخول على مراتبهم من الأدباء والشعراء[1]، فأدخلهم الوزير أبو العلى ادريس بن جامع والفقيه أبو محمد المالقي شيخ الطلبة معه، فخطب الشيخ الزاهد أبو محمد عبد الواحد بن عمر أولاً باللسان الغربي فأعرب فيه للموحدين في لسانهم وبيانهم، ثم شرح ذلك باللسان العربي لأهل شأنهم. ثم قام الفقيه أبو بكر بن الجد خطيباً وتلاه القاضي أبو موسى عيسى بن عمران، ثم قام الفقيه المذكور أبو محمد المالقي على مثالهم، وأنشد الشعراء ما صاغوه من أشعارهم فكان أولهم الكاتب أبو علي بن الأشيري[2] فاستحسن شعره، وحمد ذكره، ثم تلاه غيره من شعراء

(1) لم يحتفظ لنا التاريخ مع الأسف الشديد بتسجيل ما قيل في هذه الاحتفالات من شعر ونثر وإن كنا على يقين من أنها كانت مناسبة انطلق فيها الأدباء انطلاقتهم المعهودة، والعجب من ابن صاحب الصلاة فلقد اعتدنا منه استقصاء جل الأشعار، ولست أعتقد أن هذه الأشعار كانت من نصيب ـ السفر الثاني فإن الحديث عن هذا الموضوع انتهى بانتهاء هذا السفر، وقد افادنا عن طليعة السفر في آخر المجلد الذي بين أيدينا.

(2) هو حسن بن عبد الله بن حسن الكاتب المعروف بابن الأشيري، ويكنى أبا علي وهو من أهل تلمسان نشأ بها وأخذ عن الأستاذ أبي الخرّاز، وأخذ بالمرية عن أبي الحجاج بن يسعون 540 وكان من أهل العلم بالقراءات واللغة وقد غلبت عليه صناعة الأدب، وكان ناظماً ناثراً في الوقت ذاته، وله مختصر في التاريخ سماه نظم اللآلي، وله قصيدة مستجادة في غزوة السبطاط التي كانت سنة 569، على ما يقول ابن الأبار في التكملة نشر كوديرا رقم 66. ـ

أهل العدوة وأهل إشبيلية، وطال الإنشاد فقام أبو محمد [386] المالقي المذكور، وقبض من سائر الشعراء بطايقهم بما صاغوه، ووضعها بين يدي أمير المؤمنين، وأمر رضي الله عنه بتعجيل جوائزهم؛ فخرج للطبقة الأولى خمسون ديناراً إلى أربعين إلى ثلاثين[1]. ثم بويع أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين على ذلك وقبل جميع الحاضرين يده المباركة، وكملت المسرة بذلك وترادفت الفتوح هنالك، ولما كانت هذه الوقيعة في الكفرة النصارى أهل آبلة أهلكهم الله، وقتل فيها زعيمهم الأحدب لعنه الله، سرى الخبر في بلادهم سرى الشمس، وتحدثوا في كنائسهم مع اقستهم وقواميسهم بما عاينوه من قتل أحزابهم بالأمس فخامرهم الروع والجزع، وظلت قلوبهم من مقتلهم تتصدع، ثم توالت عليهم في أثر ذلك البعوث من العساكر بالسرايا والمقانب فكان ما أذكره:

ذكر بعث أبي يعقوب يوسف بن أبي عبد الله بن تيجيت وابي محمد عبد الله بن أبي اسحاق بن جامع بالميرة الى بطليوس، والأمر الكريم لهما بغزو النصارى أهلكهم الله.

وانهما لما تحركا من إشبيلية في أربعة آلاف فارس من [387] الموحدين أعزهم الله ومن الأجناد الأندلسيين ومن العرب، ومعهم الميرة المذكورة على ثلاثة آلاف دابة من القمح والشعير والدقيق والزيت والملح والآلات والمرافق، واستعداد الأرزاق لأهلها رفقاً بهم في المضايق، ووصلوا بها إلى بطليوس المذكورة، ودفعوها إلى شيخها القائد أبي غالب بن أبي الحسين بن الموصلي[2] واختزنها على ما أمر به، تحركوا إثر ذلك عائدين

ـ وأنت خبير بأن هذه الوقعة جرت في شعبان سنة 568. هذا وقد ذكر ابن عبد الملك في الذيل والتكملة أن أبا علي هذا كان من جملة رواة ابن صاحب الصلاة.

(1) كانت بالفعل من أهم المناسبات ويدلك تقسيم الإنتاج إلى طبقات ومراتب.

(2) اقترن اسم بني الموصلي ببطليوس نظراً ـ فيما يظهر ـ لصدارتهم فيها وقيادتهم. راجع صفحة 308.

ووصلوا نظر طلبيرة، فأغاروا عليها وعلى بسائطها فغنموا من سائمة البقر والغنم أكثر من ثلاثين[1] ألفاً مع ما وجدوه من سبي، وامتلأت أيدي المسلمين من ذلك، وقتلوا من رجال النصارى من حاربهم، وأسروا من طاوعهم، وانصرفوا موفورين سالمين، ثم تمادى الأمر الكريم إلى الأجناد مثل ذلك، فغزوا أنظار طليطلة وما يليها واستاقوا منها الغنائم وأذاقوا الكفار شراً، وسقوهم من الغنيمة والإسار كأساً مراً، وتراموا بإرسالهم إلى السلم جانحين، ولأبواب الصلح فاتحين، وللمهادنة طالبين، ولأسبابها راغبين.

(استسلام صاحب طليطلة وصاحب قلمرية)

فأول من أرسل القومس نونه[2] صاحب طليطلة، ظئر اذفونش الصغير[3] لعنه الله، ثم تابعه اذفونش بن الرنك[4] صاحب قلمرية، وبعث ارساله راغباً بأعظم مما رغب فيه نونه، وذلك في ذي الحجة سنة ثمان وستين وخمس مائة [388] فأسعفهم الأمر العزيز في رغباتهم وطلباتهم، لما كان في نفس أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين رضي الله عنه من إسكان البلاد القفرة في هذه الجزيرة، وما كان من غدر جرانده[5] اللعين العلج لها من ثغورها المثغورة،

(1) ينقل ويسي هذه المعلومات في كتابه بالحرف أنظر ص 270.

(2) نونيه Nuno. راجع التعليق رقم 5 ص 286.

(3) هو المعروف كذلك في المصادر المسيحية تحت اسم El Rey — Chico أنظر التعليق رقم 3 ص 97.

(4) هو الملك الفونسو هنريكيز ملك قلمرية أي البرتغال (Alfonso Enriquez). راجع التعليق رقم 1 ص 96.

(5) يعني به جرانده الذي كان قائداً لابن الرنك، وصاحب جيوشه وقد كان غدر بمدينة باجة وبكثير من الحصون والمدن، وصل إلى أشبيلية مستسلماً طائعاً... وقد قبلت منه فيئته، بيدان ابن الرنك لم يزل يراسله فظهرت على جرانده إرادة في الانحراف... فبعث إلى سجلماسة... ثم حاول أن يفر، ولكنه قتل. وكذا في ابن عذاري ص 94 ولا بدَّ لنا هنا أن نقف قليلاً لنذكر بما ورد عن البيذق من أنَّ أمير المؤمنين أجاز النصراني المسمى بجرانده إلى مراكش ثم صرفه إلى السوس فارسل الكتب من السوس إلى الأشبونة إلى ابن الرنك يعلمه بمكانه من السوس في ساحل البحر، وقال له: «لعلك تعمر القطائع لتأخذني... وعثر على هذه الكتب فوجه أمير المؤمنين لدرعة لموسى =

فأقاموا بإشبيلية نحو شهرين حتى كمل السلم المذكور على اجتياز أمير المؤمنين، وبأوفى الربوط في حماية الدين، وأعطوا الكفرة صفقة الذل بأيديهم على إخوتهم الكافرين، وصرفوا على حد مرسوم، وإلى أجل معلوم.

كمل السفر الثاني من كتاب «تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم أيمة وجعلهم الوارثين». وصلى الله على محمد وآله، يتلوه في الثالث بحول الله: سنة تسع وستين وخمس مائة خبر وصول العلج الطاغي.

= بن عبد الصمد يذكره بما اكتشف من أسرار ويأمر لكرانده بالمشي إلى درعة مع أصحابه - وكانوا ثلاثمائة وخمسين فلما وصلوا فعل بهم موسى ما أمر به من قتلهم وذلك سنة خمس وستين وخمسمائة». سقنا النص بكامله لنعزز به الأخبار المتعلقة بالعلج الطاغي والتي نقلناها من ابن عذاري ولنذكر أن بروفنصال لم يطلع على ابن عذاري حينما علق بأن البيذق المصدر الموحيد الذي يتحدث عن تمرد جرانده (البيذق: 216)